



التمثلات الاجتماعية السائدة في المغرب حول برنامج محو الأمية بالمساجد مقاربة سوسيو - أنثروبولوجية حول الرهان على تجويد البرنامج بإقليم القنيطرة نموذجاً

Social Representation of Mosque –Based Literacy in Morocco:
A socio-Anthropological Case Study in Kénitra Province

تحت إشراف: د. شفيق عبد الغني

CHAFIK ABDELGHANI

الطالب الباحث: حجي أيوب

HAJJI AYOUB

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، المغرب

Ayoub.hajji@uit.ac.ma

ملخص

تسعى هذه الدراسة، إلى تفكيك خطاب التمثلات الاجتماعية التي يحملها المستفيدون إزاء برنامج محو الأمية بالمساجد وما تعكسه على المستوى التعليمي والتموي، بالإضافة إلى الطموحات الواردة لدى مختلف الفئات المستفيدة من البرنامج والتي تطمح إلى الاندماج والتمكين في سوق الشغل. سنحاول في هذا المقال وهو عبارة عن دراسة ميدانية قمنا بهذا في هذا الموسم بالنظر إلى أهميتها وضرورتها في الكشف عن مدى أهمية البرنامج من جهة، ومن جهة أخرى لمعرفة تمثلات المستفيدين حوله وآفاقه المستقبلية وتطلعاتهم إليه.

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية - برنامج محو الأمية - المساجد - التمكين والاندماج

Abstract :

This study seeks to deconstruct the discourse of social representations held by beneficiaries regarding the literacy program implemented in mosques, and to examine its educational and developmental implications. It also explores the aspirations expressed by the diverse groups benefiting from the program, particularly their ambitions for integration and empowerment within the labor market. The article presents a field study conducted during the current academic season, motivated by the importance and necessity of assessing the program's relevance. On the one hand, the study aims to reveal the extent to which the program contributes to educational improvement; on the other hand, it investigates beneficiaries' perceptions of the program, their expectations for its future, and their broader aspirations.

Keywords: Social representations – Literacy program – Mosques – Empowerment and integration





مقدمة

كانت الأمية ولا تزال واحدة من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات النامية، إذ تعيق مسارات التنمية وتحد من فرص الاندماج الاجتماعي والثقافي. وبالعودة إلى المغرب، فبالرغم من الجهود المبذولة منذ عقود، ما تزال نسب الأمية مرتفعة في صفوف بعض الفئات ولاسيما النساء في الأوساط القروية، الأمر الذي دفع الدولة وصانعي القرار إلى ابتكار برامج عديدة للحد من هذه الظاهرة.

وقد برز من بين هذه المبادرات، برنامج محو الأمية بالمساجد الذي أعطى الملك محمد السادس انطلاوقته الفعلية سنة 2000، باعتباره تجربة نوعية فريدة تجمع وتمزج بين البعدين الديني والتربوي، وذلك استنادا إلى مكانة المسجد وقديسيته كفضاء روحي واجتماعي قادر على استقطاب شريحة واسعة من المجتمع. غير أن الفعالية الحقيقية للبرنامج قد لا تقاس فقط من خلال الموارد المرصودة أو عدد المستفيدين المستهدفين، وإنما يمكن أن تتحدد أيضا من خلال التمثلات الاجتماعية التي يبنها ويشكلها الأفراد والجماعات حول هذا البرنامج، والتي قد تتحول إلى قوة دافعة نحو التطور أو عائق أمام تحقيق الأهداف.

ومن هنا تبرز أهمية المقاربة السوسيو-أنثروبولوجية التي تسعى إلى تفكيك الرموز والمعاني الكامنة خلف هذه التمثلات، وربطها بالسياق الثقافي والديني للبرنامج. ومن هذا المنطلق، يأتي اختيار إقليم القنيطرة كنموذج ميداني، لما يتميز به من خصوصيات اجتماعية واقتصادية وثقافية، تسمح بفحص العلاقة بين التصورات الجماعية والفعالية التطبيقية والعملية للبرنامج، واستخلاص الدلالات التي من شأنها أن تمد صانعي القرار بمعطيات تفيد في تجويد السياسات العمومية في هذا الشأن، بالإضافة إلى عامل الانتماء إلى الإقليم وسهولة الوصول إلى المبحوثين.

وبذلك فإن هذه الدراسة ستسعى إلى الكشف عن طبيعة التمثلات الاجتماعية السائدة، وتتبع انعكاساتها على المشاركة والاندماج، واستشراف كيفية استثمارها في تجويد البرنامج، بما يجعل من البحث مساهمة علمية قيّمة في فهم العلاقة بين الثقافة والدين وتعليم الكبار في مجتمعنا المغربي. على اعتبار أن المشروع منذ انطلاوقته كان نموذجا، ولذلك عملت الوزارة الوصية (الأوقاف والشؤون الإسلامية) على تبني هذا المشروع الوطني الكبير لمحو الأمية، على مختلف المستويات².

² عثمان بنسودة ، صور من الممارسة الديمقراطية، مطبعة السلام- فاس، يونيو 1980، ص 97





إشكالية البحث وفرضياته

لقد ارتبط تاريخ الأمية في المغرب بتشابك عدة عوامل متداخلة، سياسات تعليمية استعمارية، بالإضافة إلى البنيات الاجتماعية التقليدية التي كرسّت الفوارق بين المدن والقرى، وكذا رهانات سياسية لم تتجح في تعميم التعليم بشكل عادل. فوسط هذا المشهد ظهر المسجد باعتباره فضاء له شرعية خاصة، يجمع بين البعد الروحي والاجتماعي، ويحتضن برنامج محو الأمية بمبادرة وطنية ملكية تستهدف الفئات الأكثر هشاشة.

وحضور المسجد في هذا المجال يضيف على البرنامج دلالات رمزية وثقافية عميقة. ففي المجتمع المغربي يتم النظر إليه من زوايا متعددة، فهناك من ينظر إليه من زاوية يعتبره فيها فرصة سانحة للاندماج، وهناك من يرى فيه تجربة محدودة الأثر أو مرتبط بفئات بعينها يستهدفها دون غيرها. فهذه التصورات بحسب المقاربات الأنثروبولوجية وخاصة مقارنة التمثلات الاجتماعية والسوسيو- ثقافية والنقدية، هي تصورات توجه سلوك الأفراد وتحدد مستوياتهم في المشاركة.

وانطلاقاً مما سبق يمكن بلورة إشكالية الدراسة كما يلي:

✓ ما طبيعة التمثلات الاجتماعية السائدة في المغرب حول برنامج محو الأمية بالمساجد؟

السؤال المركزي:

✓ كيف تؤثر التمثلات الاجتماعية السائدة في المغرب حول برنامج محو الأمية بالمساجد على فعالية البرنامج وجودته؟

الأسئلة الفرعية:

ـ ما هي أبرز التمثلات الاجتماعية السائدة حول البرنامج؟

ـ كيف تنعكس هذه التمثلات على مستوى المشاركة والاندماج في البرنامج؟





✓ فرضيات البحث:

إننا حينما نتأمل برنامج محو الأمية بالمساجد في المغرب، نربطه بشبكة التصورات والرموز التي ينسجها المجتمع المغربي حوله، فالمسجد وما يحمل من شرعية ودلالات دينية ورمزية وثقافية، يجعل البرنامج محاطا بانتظارات قوية ومتباينة، حيث يراه البعض بوابة للتمكين والاندماج، ويعتبره آخرون تجربة محدودة الأثر، فيما تراه فئات أخرى كأداة اجتماعية ترتبط بظروف معينة. فهذه التمثلات هي بنى ذهنية تؤثر في السلوك الجماعي وتحدد مستويات المشاركة والالتزام، وتنعكس مباشرة على فعالية البرنامج.

وإن الكشف عن طبيعة هذه التمثلات الاجتماعية يعتبر المدخل الأساسي لفهم العلاقة بين الفئات المستهدفة من البرنامج وهو ما يمكن أن يجعل صياغة الفرضيات ضرورة منهجية، لأنها تحول الإشكالية من سؤال مفتوح إلى مسار قابل للتحقق الميداني. ومن هنا تأتي الفرضية المركزية والفرضيات الفرعية لتضع إطارا علميا يختبر كيف تترجم هذه التصورات إلى ممارسات، وكيف يمكن أن تتحول إلى قوة دافعة ومؤثرة أو عائق أمام تحقيق الأهداف التنموية.

✓ الفرضية المركزية:

تؤثر التمثلات الاجتماعية السائدة في المغرب حول برنامج محو الأمية بالمساجد بشكل مباشر على فعالية وجودة البرنامج؛ إذ إن التمثلات الإيجابية تعزز المشاركة والاندماج، بينما التمثلات السلبية تحد من أثره وتضعف نتائجه، وهو ما يظهر بوضوح في خصوصية إقليم القنيطرة كنموذج ميداني.

✓ الفرضيات الفرعية:

تتنوع التمثلات الاجتماعية السائدة حول برنامج محو الأمية بالمساجد بين رؤى تعتبره نافذة للتمكين والاندماج وبين تصورات أخرى ترى فيه مجرد مبادرة محدودة الأثر، مما يجعل هذه التمثلات بمثابة مرآة تكشف عن علاقة المجتمع بالمعرفة والدين.

كلما كانت التمثلات إيجابية، ارتفع منسوب المشاركة الفعالة واشتد الاندماج في البرنامج، بينما تؤدي التمثلات السلبية إلى انسحاب صامت أو حضور شكلي، وهو ما ينعكس مباشرة على فعالية البرنامج.





✓ الهدف من البحث وأهميته العلمية والعملية

إنه وفي ظل التحولات التي يشهدها المغرب، تظل الأمية واحدة من أبرز التحديات التي تعيق مسار التنمية وتحد من استثمار الرأسمال البشري. ورغم تعدد البرامج الوطنية لمحوها ومكافحتها، إلا أن برنامج محو الأمية بالمساجد يكتسب خصوصية استثنائية، كونه يستند إلى فضاء له شرعية دينية واجتماعية، ويستقطب غالبية الفئات التي ظلت خارج دائرة التعليم النظامي. ويرتبط نجاح هذا البرنامج بما يحمله المجتمع عنه من خلال التمثلات الاجتماعية.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تفكيك البنى الذهنية والاجتماعية التي تحدد علاقة الأفراد بالبرنامج، ليكشف كيف تتشكل التصورات الجماعية، وكيف تنعكس على المشاركة والاندماج، بالإضافة إلى كيفية توظيفها لتجويد السياسات العمومية في هذا الباب. حيث إن هذا الطموح يجعل الأهداف والأهمية العلمية والعملية للبحث ركائز أساسية يمكن تحديدها فيما يلي:

✓ الكشف عن التمثلات الاجتماعية السائدة في المغرب حول برنامج محو الأمية بالمساجد، ورصد طبيعتها بين الإيجابية والسلبية.

✓ تحليل انعكاسات هذه التمثلات على المشاركة والاندماج في البرنامج، ومدى تأثيرها على فعاليته.

✓ تفسير العلاقة بين التصورات الجماعية والنتائج العملية للبرنامج في ضوء المقاربة السوسيو-أنثروبولوجية

وتكمن أهميته العلمية والعملية فيما يلي:

✓ قد يساهم في إغناء الأدبيات السوسيولوجية من خلال ربط ظاهرة الأمية بالتمثلات الاجتماعية في سياق محدد.

✓ قد يفتح المجال أمام دراسات مقارنة بين المغرب ودول أخرى في كيفية توظيف الفضاءات الدينية لمواجهة آفة الأمية.

✓ قد يمنح صانعي القرار أدوات لفهم تصورات المجتمع تجاه البرنامج، مما قد يساعد على صياغة سياسات أكثر واقعية وفعالية





✓ قد يعزز فرص التمكين الاجتماعي للفئات الأكثر هشاشة، خصوصا النساء في الوسط القروي، من خلال استثمار التمثلات الايجابية.

✓ منهجية الاشتغال

يرتكز هذا البحث على مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية، والتي بدورها تستند إلى أدوات نوعية تتيح الغوص في عمق التمثلات الاجتماعية المرتبطة ببرنامح محو الأمية بالمساجد. وقد تم اختيار المقابلات نصف الموجهة كأداة رئيسية، لما قد توفره لنا من مرونة في استكشاف تصورات المستفيدين، مع الحفاظ على إطار منهجي يضمن المقارنة بين الإجابات. كما تم اعتماد الملاحظة بالمشاركة داخل فضاءات المساجد، باعتبارها وسيلة مباشرة لرصد التفاعلات اليومية بين المستفيدين والمؤطرين، وفهم الرموز والدلالات الثقافية التي تحيط بالبرنامج. حيث يتيح الجمع بين هاتين الأداتين بناء صورة مركبة، تجمع بين ما يصرح به الفاعلون وما يمارس فعليا في الواقع، وهو ما يمكنه أن يمنح البحث قوة تفسيرية وقدرة على تفكيك الخطابات والبنى الذهنية والاجتماعية التي تحدد فعالية هذا البرنامج.

وتأتي هذه الدراسة في سياق الحاجة إلى تفكيك خطاب التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالمستفيدين تجاه برنامج محو الأمية بالمساجد باعتباره من البرامج المهمة في إعادة تشكيل المسار التربوي والسوسيو-تنموي. وسنعمد تقنية التحليل الموضوعاتي كإطار منهجي لمعالجة المعطيات المستخلصة من المقابلات نصف الموجهة والملاحظة بالمشاركة مع العينة القصدية المكونة من عشرة مستفيدين من برنامج محو الأمية بالمساجد بإقليم القنيطرة، وسنعمل على تفريغ التصريحات والملاحظات وإخضاعها للترميز من أجل استخراج المحاور الكبرى التي تعكس طبيعة التمثلات الاجتماعية.

✓ مجتمع البحث وعينته

بحسب المعطيات الرسمية للموسم الدراسي 2025/2026، بلغ عدد المسجلين في البرنامج بالإقليم ما يناهز 6145 مستفيدا ومستفيدة، منهم 4780 مستفيدة و1365 مستفيدا. وقد توزعت المستفيدات بين 2360 بالنسبة للمستوى الأول و 2420 بالنسبة للمستوى الثاني، فيما بلغ عدد المستفيدين الذكور 671 بالمستوى الأول و 694





بالمستوى الثاني³. إن هذه المعطيات تعكس بوضوح هيمنة المشاركة النسائية، خاصة في المستويات الأولى، وهذا ما يبرز البعد الاجتماعي والثقافي للبرنامج في الوسط المحلي.

فانطلاقاً من هذا المجتمع البحثي الواسع، سنقتصر في دراستنا بحكم ضيق الوقت والتكلفة، على عينة قصدية صغيرة تضم حوالي 10 مستفيدين ينتمون لإقليم القنيطرة ومتنوعون من حيث النوع والسن والوسط المجالي والاستفادة من المستويين الأول والثاني أو سبق لهم الاستفادة من البرنامج. وهذا الاختيار من شأنه أن يتيح لنا إمكانية الغوص في عمق التمثلات الاجتماعية عبر المقابلات نصف الموجهة والملاحظة بالمشاركة، مع التركيز على البعد الكيفي الذي يكشف عن الرموز والدلالات الثقافية المرتبطة بالمسجد كفضاء للتعليم.

✓ المفاهيم والمقاربات النظرية المفسرة لظاهرة محو الأمية

تقتضي الضرورة العلمية من أجل فهم وتفسير ومقاربة ظاهرة محو الأمية في المساجد، استدعاء المفاهيم الرئيسية للدراسة والاطار النظري الذي يجمع بين البعد السوسيو-ثقافي والاجتماعي والتربوي، حيث أن ظاهرة الأمية في الحقيقة هي انعكاس لبنى اجتماعية وثقافية وقيمية متشابكة، تظهر بوادرها من خلال التمثلات الجماعية التي تحدد قيمة ومعنى التعلم ومكانته في الحياة اليومية للمستفيدين. ومن هنا يصبح الانفتاح على مقاربات نظرية مختلفة ضرورة منهجية، كونها ستمنح القارئ أدوات لفهم كيف تبنى هذه التمثلات، وكيف يعاد إنتاجها داخل الفضاءات المسجدية بما تحمله من رمزية وقديسية دينية واجتماعية قوية. فهذا الاستدعاء النظري من شأنه أن يساهم في فهم وتفسير الظاهرة ووضعها ضمن سياقها المناسب. ومن بين هذه النظريات سنستدعي المقاربة السوسيو-ثقافية، والمقاربة النقدية، بالإضافة إلى المقاربة الاجتماعية، والمقاربة الملكية.

³ - المعطيات الرسمية، المندوبية الإقليمية للشؤون الإسلامية بالقنيطرة، الموسم القرائي 2025/2026





✓ أولا المفاهيم الإجرائية للدراسة

- مفهوم الأمية:

يعرّف مصطلح الأمية قديما، بأنه "عدم مقدرة الشخص على القراءة والكتابة وعدم معرفة المكتوب"، كما تعني "انخفاض مستوى المعرفة لدى الشخص في اهتمام محدد عن المستوى المقدر عليه موضوعيا والمرغوب اجتماعيا والمفضل فرديا، ويقصد بها في أبسط معانيها الأمية الأبجدية وهي عدم تملك الفرد المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب وإلى المستوى الذي يؤهله لمتابعة الدراسة والتدريب"⁴ وعرفها الدكتور أحمد زكي بدوي بأنها: "عدم معرفة القراءة والكتابة"⁵، وفي نفس السياق، عرّفت منظمة اليونيسكو "محو الأمية": "الأمي بأنه ذلك الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ أو أن يكتب أو أن يفهم عبارة قصيرة وبسيطة عن حياته اليومية، ويعد الشخص أميا وظيفيا، إذا كان غير قادر على الانخراط في النشاطات التي تتطلب معرفة القراءة والكتابة من أجل الأداء الفعال لجماعته ومجتمعه"⁶، وتعرف الأمية إجرائيا في هذه الدراسة، "بكونها حالة من العجز عن القراءة والكتابة وفهم النصوص البسيطة الضرورية للتواصل اليومي، وتعد وضعية اجتماعية- ثقافية تقيد مشاركة الفرد في الحياة العامة وترسخ مبدأ التهميش".

- مفهوم محو الأمية:

يعرف مفهوم محو الأمية إجرائيا في هذه الدراسة على أنه "عملية تعليمية- اجتماعية تهدف إلى تمكين الأفراد من اكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب، بما يسمح لهم بالاندماج في المجتمع وبما يمكنهم من الانخراط الفعلي في مشروع التنمية البشرية، بل وينظر إليه باعتباره آلية وأداة للتحرر وإعادة بناء علاقة الإنسان بالمعرفة والثقافة والدين".

⁴ عبد الله بيومي، تقويم الوضع الحالي لمحو الأمية، (الجهات، العقبات، التنسيق) أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالتعاون مع المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 2000، ص 31

⁵ - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بيروت - لبنان، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص 2207

⁶ - L'UNESCO, Monographie sur l'éducation de bas, L'analphabétisme dans divers pays, Etude statistique préliminaire sur la base de puis, 1900, UNESCO, sans date, P. 11





التمثلات الاجتماعية:

تعتبر التمثلات الاجتماعية بشكل عام، بناء اجتماعي يتشكل من خلال التنشئة الاجتماعية والمواقف والتصورات والممارسات، وهي تركيب مركب. بمعنى أن كل وضعية تتعلق بهذه التمثلات يكون لها منطق خاص، وتلعب دورا حاسما في جاذبية المستفيدين إلى البرنامج. ويعود لفظ التمثلات في اللغة لفعل "مَثَّلَ، يُمَثِّلُ مَثُولا، وَمَثَّلَ التَّمَاثِيلَ أي صورها، ومَثَّلَ الشيء بالشيء أي شبهه به"⁷. وفي المعجم الأجنبي يقابل مفهوم التمثلات باللغة الفرنسية لفظ "Représentations" والذي يقصد به "إحضار الشيء ومثوله أمام العين أو الذهن بواسطة الرسم أو اللغة"⁸.

ولقد استعمل مفهوم التمثلات الاجتماعية في السوسيولوجيا كمفهوم فقط وليس كنظرية نفهم من خلالها الظواهر الاجتماعية، بحيث تعد مجرد أفكار وتصورات يشترك فيها المجتمع، لها ارتباط بالحس المشترك، لذلك يقول "موسكوفيتشي"، "ضاع هذا المفهوم وكدنا نفقده، لولا مدرسة المؤرخين التي قامت بدراسة العقلية الجمعية"⁹، وفي هذا الصدد تقول "دينيس جوديليت" بأن مصطلح التمثلات الاجتماعية تم إعادة اكتشافه مع موسكوفيتشي بعدما كان منسيا مع "دوركهايم"¹⁰.

وأما "دوركهايم" فيعرف التمثلات الجمعية بأنها تصورات ناتجة عن تفاعل الأفراد بعضهم البعض، بمعنى أن التمثلات تنشأ انطلاقا من تفاعل الأفراد، لكنها مستقلة عن الإرادات الفردية للأشخاص. وردا على الطرح "الدوركهايمي"، يعتبر "موسكوفيتشي" أن التمثلات ليست فقط جمعية تتكون عبر الأجيال وغير قابلة للتغيير بل اجتماعية قابلة للمراجعة والتجديد وإعادة البناء من طرف المجموعات التي تكوّن المجتمع الواحد لتنتج بذلك "معارف الحس العام"، ويكون الحس العام، كما بين "موسكوفيتشي" من نسق من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسمات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي وتمكن من استقرار حياة الأفراد والجماعات ومن توجيه وصياغة السلوكيات وردود الفعل المناسبة. وهي أيضا "وسائط بين الشخص والوضعية المتواجد فيها"¹¹.

⁷ -ابن منظور، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، درا الرشاد الحديثة، بيروت لبنان، ص 611.

⁸ -موسوعة لالاند الفلسفية، تصويب خليل أحمد خليل، المجلد الثالث، منشورات عويدات بيروت، ط2، 2001، باريس، 1210

⁹ -السعليتي، محاضرات في نظرية التمثلات الاجتماعية، الفصل الخامس، كلية الآداب و ع إ، مراكش، مسلك علم الاج، 2007-2008

¹⁰ -إميل دوركهايم، علم الاجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، مكتبة الأنجلومصرية للنشر والتوزيع، ط1، 1966، ص 17

¹¹ S. Moscovici, La psychanalyse, son image et son public, Paris 1976, P12





أما دينيس جودلي فترى على أن التمثلات لها دور أساسي في الحفاظ على المعطيات الموجودة في المحيط، وبذلك تعتبر دراستها مؤشرا ذا دلالة في التعرف على هذا الواقع، كما أن لها وظيفة تبريرية تسمح بتبرير المواقف والسلوكات التي يقوم بها الأفراد والجماعات، مما يجعل منها نقاطا للارتكاز خلال المناقشات. "تسمح التمثلات الاجتماعية بتبرير اتخاذ المواقف والسلوكات"¹². وعلى ضوء ما سلف ذكره، من تعاريف مختلفة للتمثلات الاجتماعية السائدة، فإنه يمكن اعتبار هذه الأخيرة صور ذهنية وقيم ومعايير يحملها الأفراد والجماعات تجاه برنامج محو الأمية وحول التعلم، والتي تحدد نوع المشاركة في برنامج محو الأمية، وتؤثر في مدى تقبل فاعليتها بداخل المجتمع، باعتبارها نظام لتفسير الواقع الذي ينظم العلاقات بين الأفراد وبين محيطهم الاجتماعي، ويحدد السلوكات والممارسات، ويقود الأفعال ويوجهها، ويحدد التصورات والمواقف التي يحملها المستفيدون تجاه برنامج محو الأمية بالمساجد.

تعريف المسجد:

يعتبر المسجد بيت الله الذي تقام فيه الشعائر الدينية، وهو رمز لوحدة الأمة المغربية، التي تركز على الضوابط المنهجية الآتية: العقيدة الأشعرية، المذهب المالكي، التصور السني، إمارة المؤمنين، ويقوم بعدة وظائف نذكر منها على سبيل المثال: الوظيفة التعبدية، الوظيفة الدينية- التوجيهية، والوظيفة الاجتماعية وكذا العلمية والثقافية، وتكمن رسالته العلمية والثقافية في تنظيم دروس للوعظ والارشاد، ودروس عامة للتعريف بالبادئ الأساسية للإسلام، والكراسي العلمية في العقيدة وعلوم التفسير¹³... ودروس خاصة بالنساء والأطفال والشباب، ودروس لتحفيظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى الدروس التأطيرية الخاصة بمحو الأمية وتعليم الكبار، وهو موضوع اشتغالنا في هذه الدراسة.

¹² D Jodelet., « **Représentation sociale : phénomène, concept et théorie** » dans Moscovici S. (dir.), Psychologie sociale, Paris 1997, PUF, coll. « Le Psychologue » P 365

¹³ - المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قسم محو الأمية بالمساجد، "المنهاج التربوي لتفعيل مقتضيات القانون الإطار 51.17" المتعلق بالتربية

والتكوين والبحث العلمي، ص 19 - 20





ثانيا: المقاربات النظرية المفسرة لظاهرة محو الأمية

1. المقاربة السوسيو-ثقافية لمحو الامية

تعد المقاربة السوسيو-ثقافية من أبرز الأطر النظرية التي أعادت تعريف محو الأمية باعتبارها ممارسة اجتماعية متجذرة في السياقات التاريخية والثقافية والدينية، دون الاقتصار على المهارات التقنية أو المعرفية المنزوعة الجذور والسياق. فوفق هذه المقاربة، يمكن فهم القراءة والكتابة وتعلم الحساب وغيره في برنامج محو الأمية انطلاقا من الأغراض التي توظف من أجلها، والفضاءات التي تمارس فيها، والعلاقات الاجتماعية التي تنظمها، فإن كانت من أجل التمكين والاندماج وخلق فرص تنموية للمستفيدين من البرنامج، فهو قد يمثل فرصة سانحة لذلك، وهو ما يمكن أن يدفع هؤلاء إلا خلق تمثلات إيجابية حول البرنامج، يمكنها أن تعزز من قيمته وتدفعه لتطوير وتوسيع الشراكات وخلق برامج أكثر ملاءمة لشرائح عديدة في المجتمع، وإلا سيصبح في اعتقادهم، مجرد آلية لمحو الأمية مؤقتا، وتكون عودتها بمجرد إغلاق مركز التأطير في الوحدة المتاحة بعد استكمال المستويين الأول والثاني، ويؤكد رواد هذه المقاربة على أن برامج محو الأمية يتخذ أشكالا متعددة تختلف باختلاف الزمان والمكان، وترتبط أشد ما ارتباطا بالبنى والعلاقات الاجتماعية¹⁴.

2. المقاربة النقدية لباولو فرايري

تعد نظرية باولو فرايري في "تعليم الكبار" من المقاربات الملهمة للغاية ضمن برنامج محو الأمية، والتي تقام في فضاء روعي مقدس كالـ(المساجد)، حيث تركز على تحويل المستفيد من متلقٍ سلبي إلى فاعل يشارك في تغيير واقعه الاجتماعي. وتكشف هذه المقاربة عن مشروع تحرري يتمثل في إعادة بناء وتكوين الإنسان الذي فاتته فرصة إمكانية الولوج إلى المدرسة لكبر سنه، وهي فرصة سانحة لجعله يندمج في المجتمع بعد تعليمه وتكوينه وتأهيله وتمكينه.

وبالعودة إلى صلب الموضوع المرتبط بالتمثلات الاجتماعية السائدة حول برامج محو الأمية أو تعليم الكبار في علاقته بنظرية باولو فرايري، يمكن القول بأن معظم البرامج باستثناء برنامج محو الأمية بالمساجد التابع لوزارة

¹⁴- Erguig, Reddad, « The mosques- based literacy campaign in Morocco : A socio-cultural perspective », Studies in Education of Adults, vol. 49, N° 1, 2017, P.2





الأوقاف، غالبا ما تتمحور ضمن إطار المنطق البنكي الذي يختزل المستفيدين في صورة آنية فارغة يصب فيها المؤطرون أو المعلمون أو المسؤولون عن تعليمهم كلماتهم الجوفاء، حيث ينظر إليهم خطأ بوصفهم "الجسم المريض في جسم المجتمع" الذي يحتاج إلى علاج خارجي. فهذه الرؤية القاصرة تتركس حالة من تحقير الذات لدى أغلب المستفيدين، مما يجعلهم يستبطنون آراء المجتمع الدونية عنهم ويصرحون بمرارة في حضرة المؤطر أو المعلم أنهم لا يعرفون شيئا فهو من يعلم، طائنين وواهمين، أنهم أشخاص كسالى وغير منتجين. ومن أجل تجاوز هذه التمثلات السلبية، يشدد باولو فرايري على ضرورة كسر الوهم المتمثل في أن التعليم "منحة يهديها هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم مالكين للمعرفة إلى من يجهلون، والانتقال نحو نموذج حوار يرفض معاملة الإنسان كمجرد شيء أو كائن سلبي، مؤكدا أن المعلم/المؤطر الحقيقي هو الذي يجعل المستفيدين يشاركون في العملية التعليمية، فالحرية والوعي لا يتحققان عبر إيداع المعلومات، وإنما عبر المشاركة التامة بين القيادة والجماهير (المؤطرين والمستفيدين) في عملية نقدية مستمرة تهدف إلى السمو بالمجتمع وإلى الرقي في تغييره¹⁵.

3. المقاربة الاجتماعية لمحو الأمية

تعد المقاربة الاجتماعية من الأسس النظرية التي يمكن توظيفها في دراسة التمثلات الاجتماعية السائدة حول برنامج محو الأمية بالمساجد، كونها ترى أن محو الأمية عبارة عن ممارسة اجتماعية- ثقافية أكثر من كونها مجرد اكتساب لمهارات تقنية في القراءة والكتابة أو الحساب. فمحو الأمية ترتبط بشكل عام بالهوية وبالثقافة وبالسياق الاجتماعي الذي نشأ فيه الأفراد، بحيث ينظر إلى التعلم باعتباره عملية تفاعلية تتم بداخل الجماعة وتبنى على الخبرات السابقة والمعارف الكامنة التي يجلبها المستفيدون معهم إلى فضاء المسجد للتعلم. وتستند هذه المقاربة إلى عدة نظريات مثل البنائية الاجتماعية لفيغوتسكي والتي تؤكد على أن التعلم يحدث عبر التفاعل مع الآخرين، وكذلك النظرية الاجتماعية- المعرفية لباندورا والتي تبرز دور الملاحظة والنمذجة في اكتساب المهارات¹⁶، إضافة إلى النظرية السوسولوجية التي تضع التعلم داخل شبكة من الأنظمة الاجتماعية والثقافية، فضلا عن مفهوم المعارف الكامنة الذي يوضح أن المتعلم يدخل إلى فضاء التعلم، وهو محمل برصيد ثقافي وتجارب حياتية يمكن استثمارها.

¹⁵ باولو فرايري، تعليم المقهورين، ترجمة وتقديم يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت- لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص 72

¹⁶ Lare christine et Silvestri Katarina « Reflecting on and Embracing the complexity of Literacy Theories in practice » The Language and Literacy Spectrum, vol. 33, N° 1, art. 1, 2023, P. 7





وعند إسقاط هذه المقاربة على البحث الذي نحن بصدد "التمثلات الاجتماعية السائدة حول برنامج محو الأمية بالمساجد"، فيتضح على أن المسجد بالإضافة إلى وظائفه التعليمية والوعظية والارشادية، يعد مؤسسة اجتماعية ودينية، ذات رمزية قوية في المخيال الجماعي، ما يجعل من التمثلات الاجتماعية حول البرنامج ترتبط بالتصورات الجماعية عن الدين والشريعة والاندماج الاجتماعي. فالمستفيدون ينظرون إلى المشاركة في البرنامج باعتبارها جزء من مسار اجتماعي يحقق لهم الاعتراف والاندماج، ويمنحهم شرعية دينية وثقافية تعزز ثقتهم بأنفسهم، كما أن التعلم في المسجد غالبا ما يتم ضمن مجموعات تتكون من 40 مستفيدة على أقصى تقدير و 30 مستفيد في المجموعات الذكورية في الأوساط الحضرية أو القروية، حيث يتبادلون الخبرات ويكتسبون المهارات عبر الملاحظة والمشاركة والتفاعل، وهو ما ينسجم تماما مع مبادئ البنائية الاجتماعية. ومن ثم فإن المقاربة الاجتماعية، من شأنها أن توفر لنا إطارا نظريا قويا لفهم كيف تتشكل التمثلات الاجتماعية حول البرنامج، وكيف يُنظر إليه كآلية لتعزيز الهوية والانتماء داخل المجتمع المغربي.

وبهذا المعنى، فإن الاعتماد على المقاربة الاجتماعية في دراسة التمثلات السائدة حول برنامج محو الأمية بالمساجد، يمكن أن يمنحنا إطارا لقراءة معمقة للظاهرة، كونها تضع التعلم في الحسبان داخل شبكة من الثقافة والدين والهوية والتقاليد والرموز، وتفسر كيف يرى المجتمع البرنامج ولماذا يشارك فيه الأفراد بمختلف مستوياتهم وأجناسهم وسنهم وثقافتهم وخلفياتهم الاجتماعية، وكيف يُنظر إلى المسجد كفضاء شرعي موثوق للتعلم.

4. المقاربة الملكية في سياق محو الأمية بالمساجد

تعد المقاربة الملكية استراتيجية نموذجية لانطلاق البرنامج بالمساجد، حيث تنطلق من رؤية تعتبر الأمية عائقا بنيويا أمام النهوض بالتنمية البشرية، فقد شدد الملك محمد السادس في خطبه السامية على أن محو الأمية تشكل حقا أساسيا من حقوق المواطنة وشرطا ضروريا لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجنسين، وتقليص الفوارق بين الوسطين الحضري والقروي. فهذه الرؤية بطبيعتها تحول مبدأ التعلم إلى مشروع وطني يندرج ضمن السياسات الكبرى للتنمية المستدامة، وهذا البرنامج الذي يراهن على محو الأمية يعد آلية لإعادة إدماج الفئات الهشة في المجتمع، وتمكينها من المشاركة الفاعلة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما تعتبر هذه المقاربة الشمولية التي تربط بين التعليم والتمكين، مساهمة مهمة في تعزيز الرأسمال البشري وترسيخ أسس التنمية الاجتماعية، وتعطي





الشرعية المؤسساتية للتحويلات الفردية والجماعية التي عبر عنها المستفيدون في أحيان كثيرة، بحيث تتقاطع تجاربهم اليومية مع التوجهات الوطنية الكبرى.

✓ نتائج الدراسة الميدانية

مدخل

لقد بُنيت هذه الدراسة الميدانية على منهجية نوعية دقيقة، حيث قمنا بجمع المعطيات عبر مقابلات نصف موجهة بالاعتماد على أسئلة تم توجيهها إلى المستفيدين من برنامج محو الأمية بالمساجد وبالاعتماد على الملاحظة بالمشاركة، خصوصاً أننا كنا نزور مساجد مختلفة بالإقليم بحسب ما كانت تقتضيه الضرورة التربوية، حيث أتاحت لنا الأبواب المفتوحة الفرصة لالتقاط أصوات وتجارب حية تعكس التمثلات الاجتماعية السائدة حول برنامج محو الأمية بالمساجد. حيث قسمنا دليل المقابلة إلى أربعة محاور رئيسية تجمع بين تمثلات المستفيدين قبل الإقبال على التسجيل بالبرنامج وأثناء الاستفادة منه، وبعد الاستفادة أيضاً، بالإضافة إلى ما يتوقعونه من البرنامج مستقبلاً. وقد جرى تفرغ هذه المعطيات بعناية، كما قمنا بإخضاعها لعملية الترميز الموضوعاتي، التي سمحت لنا بدورها بتحويل الخطاب الشفوي إلى وحدات دلالية قابلة للتحليل، وهذا المسار من البحث الميداني كان الغرض منه، الربط بين التجارب الفردية للمستفيدين والسياق العام للظاهرة الاجتماعية.

المحور الأول: التمثلات الاجتماعية الأولية السائدة حول البرنامج

يهدف هذا المحور إلى استجلاء التمثلات الأولية والدوافع التي كانت تحكم قرار التحاق المستفيدين بالبرنامج، كما جاء في دليل المقابلة نصف الموجهة، حيث صرحت المبحوثة رقم 1، (مستفيدة من البرنامج، 59 سنة، تنتمي للوسط القروي، المستوى الثاني): **كنت أعتبر أن التعلم في سني لم يعد ضرورياً، لكن كنت دائماً أشعر بنقص كبير عندما لا أستطيع قراءة أو كتابة ما أحججه في حياتي اليومية** وهو تصريح يكشف أن الأمية في معناها العام تفهم بداية كحالة طبيعية مرتبطة بالسن، لكنها في الواقع تنتج شعوراً بالحرمان المعرفي وتضعف قيمة الشخص ومكانته الاجتماعية، وتضيف، أن الذي شجعها على الانخراط في البرنامج هو كون الدروس تقام في المساجد **الذي شجعني على التسجيل في برنامج محو الأمية بالمساجد، هو أنها تقام في المسجد، مكان آمن ومألوف بالنسبة لي، وأيضاً لأن أغلب النساء في الدوار التحقن بالبرنامج، فتملكني الفضول بأن أكون معهن**، وهذا يبرز على





أن التحاقها كان نتيجة للتفاعل بين الرغبة الذاتية والتمثلات الجماعية لهذا البرنامج الذي يقام في المساجد، وقد شكلت هذه الأخيرة (المساجد) فضاءات ذات شرعية دينية واجتماعية عززت ثقة المستفيدة، كما منحها البعد الاجتماعي الشعور بالهوية والانتماء. فيما تصرّح مبحوثة أخرى وهي المبحوثة رقم 5 (مستفيدة من البرنامج، 43، تنتمي للوسط الحضري، المستوى الثاني) كنت أظن بأن التعلم في مثل عمري 43 سنة هو مضيعة للوقت، خاصة وأنني جد منشغلة بالبيت والأبناء، إلا أنني كنت أشعر بالإحراج عندما أذهب إلى الإدارة أو حينما أجد صعوبة في التعامل مع الوثائق الشخصية المهمة والتي لا أستطيع قراءتها، وعندما سمعت أن هناك دروسا لمحو الأمية في المسجد يمكنها أن تنير بصيرتي، شعرت بأن الفرصة مواتية وجاءتني في الوقت المناسب، خصوصا أن لدي ثقة كبيرة في الفضاء المسجدي الذي أجد فيه راحتي، كما شجعتني التحاق مستفيدات أخريات من نفس الحي بالالتحاق بالبرنامج" فيما يعزز تصريح مبحوثة أخرى التصريحات السابقة وهي (مستفيدة من البرنامج، 50 سنة، تنتمي للوسط القروي، المستوى الثاني) بقولها "كنت دائما أشعر بأن الأمية تبعدني عن الناس والجماعة في كل المناسبات، حيث أفتقد إلى التعبير، كنت فقط أنصت وأستمع لما يدور بينهم دون أن أبدي رأيي ودون مشاركة في الحوار، لأنني لا أستطيع القراءة ولا الكتابة، وعندما سمعت بأن المسجد يقدم دروسا لمحو الأمية شعرت أن الفرصة قد جاءتني لأستعيد ثقتي بنفسي. وقد التحقت بالبرنامج لأنني أردت أن أكون مثل باقي النساء اللواتي يقرأن ويكتبن، وألا أظل معزولة عن أبنائي وعن محيطي". وفي نفس السياق يصرّح المبحوث رقم 7 وهو (مستفيد من البرنامج، 49 سنة، يقطن في الوسط القروي، المستوى الثاني) كنت دائما أقول للجميع وأدعي أنني أعرف كل شيء وأفهم الكثير من الأمور، لكن عند التحاقني بالبرنامج اكتشفت أنني في الحقيقة لا أعرف شيئا. تفاجأت بأن الدروس منظمة جيدا، وفيها إضافات كثيرة لم أكن أتخيلها، وهذا الأمر جعلني أعيد النظر فيما كنت أعتقده عن البرنامج، وجعلني أدرك بأن ما كنت أعرفه لم يكن سوى أوهام"

تظهر الشهادات الميدانية، سواء بالوسط القروي أو الحضري، بأن النظرة الأولية إلى التعلم في سن متقدمة، كانت محكومة بتمثلات اجتماعية سائدة تتمثل في أن التعليم غير ضروري بعد مرور فترة الشباب، وهو ما انعكس على المستفيدين بشعورهم بالنقص وبالخرج في نشاطاتهم اليومية أو في التعامل مع الوثائق والتواصل الأسري، غير أن هذه التمثلات السلبية سرعان ما أعيد النظر فيها وتم بناؤها بفعل عاملين رئيسيين، أولهما قدسية المسجد ورمزيته، باعتباره فضاء آمنا وذو شرعية دينية واجتماعية، وذلك ما منح فعل التعلم بالنسبة لهذه الفئة، معنى جديدا





أزال الحواجز النفسية أمام الإقبال والالتحاق بالبرنامج، وثاني العوامل، البعد الجماعي، بحيث شجع التحاق نساء الدوار بالوسط القروي أو الحي بالوسط الحضري بالبرنامج وكان حافزا إضافيا عزز الشعور بالهوية والانتماء وببداية العزلة الفردية.

المحور الثاني: التمثلات الاجتماعية السائدة من داخل البرنامج

يندرج هذا المحور في إطار استجلاء التجربة التعليمية التي خاضها المستفيدون داخل برنامج محو الأمية بالمساجد، والتي ستنحى لنا الوقوف على طبيعة المسار التعليمي وما يرافقه من صعوبات وتحديات، حيث صرحت إحدى المستفيدات، وهي المبحوثة رقم 2 (مستفيدة من البرنامج، 39 سنة، تنتمي للوسط الحضري، المستوى الأول) في بداية المشوار الدراسي في المسجد واجهت صعوبة في كيفية مسك القلم وكتابة الحروف، ولكن مع مرور الوقت أصبحت أقرأ بعض الآيات وأكتب إسمي. فهذا الإنجاز أعطاني دافع وثقة كبيرة في نفسي". يعكس هذا التصريح الذي أفادت به المبحوثة بأن مسار التعلم هو مسار تدريجي يأتي نتيجة الثقة بالذات ورد الاعتبار لها، بالإضافة إلى الاستمرارية وعدم الاستسلام في أولى المحاولات، كما أشارت خلال تصريحاتها، بأن المسؤوليات المنزلية تجعلها تنغيب في بعض الأحيان وتجد صعوبة في التركيز وتتبع الدروس حينما تمرر بشكل سريع. وهو حال العديد من المستفيدين ولاسيما النساء أو الذكور بالوسط القروي الذين يتزامن توقيت البرنامج مع الأنشطة الفلاحية أو التجارية أو الأعمال التي يكتسبون منها قوت يومهم.

كما صرحت المبحوثة رقم 4 (مستفيدة من البرنامج، 45 سنة، تنتمي للوسط الحضري، المستوى الأول) "عندما بدأت الحصص التعليمية أول مرة، كنت أشعر بأن الأمر صعب جدا، خاصة أنني لم يسبق لي أن أمسكت بالقلم منذ سنوات طويلة. ولكن مع تشجيع مؤطرتي وزميلاتي، أصبحت قادرة على كتابة جمل بسيطة وأقرأ بعض الكلمات والجمل والنصوص القصيرة. فجعلني هذا الإنجاز أشعر بالفرحة كما جعلني أشعر بأنني أستطيع أن أواصل التعلم مثل الآخرين في المستوى القادم، بالإضافة إلى أنني لم أعد أخجل من جهلي كما كنت من قبل. صحيح أن مسؤولياتي في المنزل كثيرة ولا تنتهي، وتجعلني أحيانا أتأخر عن الحصة أو أتغيب، غير أنني دائمة الإصرار على العودة والتقدم، فالتعلم في المسجد قدم لي قيمة ومنحني فرصة لأكون على قدر من المسؤولية" يكشف تصريح المبحوثة أن تجربة التعلم بداخل البرنامج تشكل مسارا لإعادة بناء وتكوين الذات في سياق اجتماعي-





ثقافي... فصعوبة مسكها للقلم في البداية وكتابة الجمل تعبر عن رمز لسنوات طويلة من الإقصاء المعرفي والتعليمي، بحيث يتحول القلم إلى أداة لرد الاعتبار والتمكين الاجتماعي، فالدعم الذي تلقته من المؤطرة التربوية وزميلاتها، يكشف عن أهمية الدعم الجماعي في تجاوز التحديات أو الحواجز التي ترتبط بالذات والتمثيلات الاجتماعية. فيصبح التعلم ممارسة جماعية تعيد إدماج الفرد في شبكة من العلاقات الإيجابية، وفي المقابل تظهر بأن المسؤوليات المرتبطة بالأنشطة المنزلية وغيرها لا تنفصل عن البنية الاجتماعية التي تقيد المستفيدين عن الانتظام التام والمستمر في التعلم، ولكنها أيضا تكشف عن وجود إرادة قوية ولاسيما لدى النساء عن مقاومة هذه القيود بعد معرفتهن بأهمية التعلم واكتساب المعرفة المهمة في الحياة، سيما وأن البرنامج يربط التعلم بالحياة اليومية للمستفيدين ويعزز قدرتهم على اكتساب المهارات لحل المشكلات. وهذا الأمر يجب أن ينعكس أيضا على فئة الذكور لربط التعلم بالإنتاجية المادية لتحفيزهم على التسجيل والاستمرارية في البرنامج. ويضيف المبحوث رقم 7 **بعد أن التحقت بالبرنامج اكتشفت أن الأمر مختلف تماما عما كنت أعتقد، فهو يقدم قيمة إضافية كبيرة نفيدنا في حياتنا اليومية.**

يتضح من خلال المقابلات الميدانية ومن التجارب المرتبطة بالمستفيدين، أن خوضهم لتجربة التعلم ببرنامج محو الأمية بالمساجد، يمثل انتقالا نوعيا من وضعية التهميش إلى وضعية التمكين، حيث تتبدد الصعوبات الأولية وتتحول إلى لحظات تأسيسية لإعادة بناء الثقة بالنفس، فالدعم الجماعي الذي تقدمه المؤطرة وزميلات الصف بالبرنامج أو الزملاء، إلى جانب رمزية المسجد وقديسيته، باعتباره فضاء آمن يبعث الطمأنينة والسكينة في القلوب، ويعيد صياغة العلاقة بالتعلم والمعرفة ويمنحهم شعورا بالانتماء إلى جماعة متماسكة ومتضامنة فيما بينها. وعلى الرغم من القيود الاجتماعية المرتبطة بالمسؤوليات الأسرية والأنشطة الحرفية والتجارية والفلاحية وغيرها، فإن الإصرار على المثابرة يكشف عن إرادة قوية لمقاومة هذه القيود. وهذا الأمر يجعل من التعلم بالنسبة للمرأة ممارسة تعيد لها مكانتها داخل الأسرة والمجتمع، حيث أن التجربة التعليمية تعد مسار يمنح قيمة للمرأة للمشاركة الاجتماعية.

المحور الثالث: التغيرات الفردية والجماعية للمستفيدين بعد استفادتهم من البرنامج

يهدف هذا المحور إلى استجلاء التغيرات الفردية والجماعية التي طرأت على المستفيدين بعد استفادتهم من دروس محو الأمية بالمساجد التي يقدمها البرنامج، بحيث أحدثت هذه التجربة تحولات عميقة في حياتهم وساهمت في اندماجهم بشكل إيجابي داخل الأسرة والمجتمع.





وهو ما تؤكد تصريحات المبحوثة رقم 3 (مستفيدة من البرنامج، 42 سنة، تقطن بالوسط الحضري، المستوى الثاني)، "بعد أن تعلمت القراءة والكتابة، أصبحت قادرة على المراجعة مع أبنائي، وفهم الوثائق الشخصية التي ترتبط بالماء والكهرباء والعقود السكنية وشهادة الميلاد وكل وثيقة تخصني، فقد جعلني البرنامج أشعر بأنني لست أقل قدرا من أخواتي اللواتي درسن في المدرسة، حيث أصبحت قادرة على التواصل معهم وإبداء رأيي في المواضيع العائلية والاجتماعية وكذلك المواضيع العلمية" فيما تؤكد المبحوثة رقم 6 على نفس الأمر وهي (مستفيدة من البرنامج، 50 سنة، تقطن بالوسط القروي، المستوى الثاني)، تقول "البرنامج غير حياتي، بحيث لم أعد أخل كما في السابق، بدأت أذهب إلى السوق وأنا بكامل الثقة أبيع البيض والدجاج وأعرف ثمنهم جيدا دون أن يتم استغلالني، وأصبحت أكتب قائمة المشتريات لزوجي حينما لا أرافقه للسوق، وهذا الأمر جعلني أشعر باستقلالية ذاتية..."

فيما تضيف المبحوثة رقم 8 (مستفيدة من البرنامج، 45 سنة، تقطن بالوسط الحضري، المستوى الأول)، "البرنامج جعلنا نلتقي كل يوم في المسجد تقريبا، من الاثنين إلى الجمعة، نتقاسم ونتبادل التجارب، نفرغ همومنا، وندعم ونشجع بعضنا البعض، فأصبحنا بمثابة أسرة واحدة، نتقاسم نفس الهموم ونفس الأهداف"، ويضيف المبحوث رقم 7 "بعد أن وازبطت على حضور الحصص تغيرت بعض الأمور في حياتي، صححت صلاتي وبدأت أقرأ القرآن بشكل صحيح وأناقش دون تسرع أو اندفاع، وبدأت أتحقق من المعلومة دون تصديق الإشاعة"

تكشف التصريحات الميدانية للمستفيدين، أن التغيرات التي أحدثها البرنامج في حياتهم اليومية، تشكل مسارا متكاملا لإعادة بناء هوياتهم الفردية والجماعية. إذ على المستوى الفردي تظهر نتائجه في تحسن مستوى المستفيدين لمتابعة السير الدراسي لأبنائهم، وفهم الوثائق والمعطيات الشخصية واقتناء المشتريات دون تعرض للنصب أو الاستغلال، وذلك الأمر ساهم إلى حد كبير في رد الاعتبار للذات وتعزيز الثقة بالنفس داخل الأسرة والمجتمع، وانتقلت المرأة بفضل البرنامج من موقع التبعية إلى موقع الفاعلية والمساندة والمشاركة في الحياة الاجتماعية، ومن خلال الممارسة اليومية والاستفادة من دروس محو الأمية، تحررت المرأة من الخجل وأصبحت قادرة على مواجهة المواقف الاجتماعية والعوائق بكل ثقة، وهذا الأمر يعكس قيمة البرنامج فيما ساهم به في إعادة بناء علاقة الفرد بالحياة اليومية وبالشعور بالقيمة والكرامة. وأما على المستوى الجماعي، فقد ساهم البرنامج في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والهوية الجماعية وعزز الانتماء، عبر التعلم في المساجد التي تحولت بدورها إلى فضاءات للتضامن والدعم المتبادل.





غير أن هذه التغيرات ورغم أهميتها، فإنها تظل بحاجة إلى استدامة وتطوير كي تتحول إلى تمكين فعلي يفتح أمام المستفيدين آفاقا مستقبلية أوسع، على اعتبار أنهم يرون البرنامج بداية لمسار جديد يتيح لهم مواصلة التعلم، كما يمنحهم فرصة للانخراط في أنشطة جماعية تدر دخلا ماديا كالتعاونيات مثلا.

المحور الرابع: التصورات المستقبلية للبرنامج في نظر المستفيدين منه

يتناول هذا المحور مسألة استكشاف نظرة المستفيدين إلى برنامج محو الأمية بالمساجد، باعتباره تجربة تعليمية ونقطة انطلاق نحو مسار جديد يؤسس لتمكين الأفراد اجتماعيا، ويفتح أمامهم آفاقا مستقبلية واعدة، فقد عاشوا تجارب تعليمية يمكن تحويلها إلى طموحات تتجاوز حدود اكتساب المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب، إلى مشاريع شخصية وذاتية مدرة للدخل والانخراط في أنشطة جموعية، والاستفادة من الفرص الاقتصادية والاجتماعية التي تتسجم مع الرؤية الملكية فيما تراه في مشروع محو الأمية بالمساجد، كونها مدخلا أساسيا للتنمية. لقد عبرت إحدى المستفيدات، المبحوثة رقم 8 وهي (مستفيدة من البرنامج، 45 سنة، تقطن بالوسط الحضري، المستوى الأول) **كنت اظن أنها لن تتاح لي الفرصة مرة أخرى للعودة إلى الدراسة، ولكن بعد أن تعلمت القراءة والكتابة، بدأت أحلم بمتابعة دراستي في التعليم العمومي حتى لو كان ذلك في سن متأخرة، فقد رأيت زميلاتي سبق ونهجن نفس التجربة** من خلال هذه التجربة التي طرحتها المستفيدة يمكن القول بأن برنامج محو الأمية مشروع حيوي يعيد إنتاج دينامية نفسية ومعرفية تحول تجربة التعلم والتعليم إلى مشروع وطموح مستقبلي يتجاوز ما نراه.

وفي سياق آخر، صرحت المبحوثة رقم 9 وهي (مستفيدة من البرنامج، 42 سنة، تقطن بالوسط القروي، المستوى الثاني) **البرنامج أعطاني الشجاعة لأفكر في مشروع صغير لإعداد الكسكس وبيعها لنساء الدوار، ونفكر معا لإنشاء تعاونية لإنتاج الكسكس** انطلاقا من هذا التصريح يبدو بأن البرنامج قد ساهم إلى حد كبير في تغيير نظرة المستفيدين للتعلم، الذي بات يترجم إلى قدرة عملية تسير نحو بناء التفكير في مشاريع صغيرة، وهذا يبرز على أن البرنامج يمكن أن يفتح آفاقا جديدة واعدة للاندماج في الاقتصاد المحلي. وقد عبرت مستفيدة أخرى وهي المبحوثة رقم 10 (مستفيدة من البرنامج، 41 سنة، تقطن بالوسط الحضري، المستوى الثاني) **أتمنى أن يستمر البرنامج بمستويات أعلى، وأن لا يقتصر على المستوى الأول والثاني فقط. وأن يكون هناك تكوين مهني مرتبط به، حتى نستطيع أن ننقل من التعلم إلى العمل**. فبناء على هذا التصريح الأخير، يتبين لنا بأن المستفيدين يتأملون وينظرون إلى البرنامج كبداية لمسار طويل يمكن ترجمته إلى فرص عمل وتمكين اقتصادي واجتماعي مستدام.





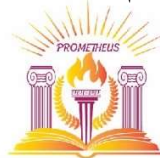
مما يبدو على أن التعلم يعتبر فرصة سانحة لافتتاح الآفاق الجديدة نحو التكوين المهني في نظر المستفيدين، وهي الرؤية نفسها التي ينبغي على صانعي القرار أخذها بعين الاعتبار لتطوير البرنامج والسير به نحو التمكين الفعلي، ويشير المبحوث رقم 7 أنه بعد الاستفادة من دروس محو الأمية في المساجد بالمستوى الثاني، أصبحت أرى نفسي بشكل مختلف، ولم أعد أدعي بأنني أعرف القراءة بل فعلا تعلمت القراءة والكتابة بشكل جيد، وصرت أطمح لمواصلة التعلم، وأتمنى أن أستفيد من دروس وتكوينات أخرى لها علاقة بالعمل والمشاريع. أشعر بكل صدق أن البرنامج فتح لي بابا جديدا في حياتي وأعطاني الثقة لمساعدة نفسي وأسرتي، الحمد لله".

يتبين مما سبق، أن برنامج محو الأمية بالمساجد يمكن أن يتجاوز من خلال الإمكانيات المتاحة أمامه وظيفته التعليمية ليصبح رافعة للتمكين الفردي والجماعي، فقد عبر المستفيدون عن تطلعاتهم نحو التعلم والانخراط في أنشطة جموعية- تعاونية، إضافة إلى رغبتهم في فتح مستويات أعلى مرتبطة بالتكوين المهني. وهذه التأملات من شأنها أن تكشف كيف ينظر للبرنامج عموما كبداية لمسار طويل يعيد بناء الطموحات الشخصية للمستفيدين ويفتح أمامهم آفاقا مستقبلية للاندماج الاجتماعي والاقتصادي.

وبناء على ما تقدم نوصي، بل ونتأمل أيضا مع المستفيدين بضرورة توسيع مشروع البرنامج ليشمل مستويات متقدمة وأنشطة مهنية وجموعية، بما يترجم التعلم إلى مشاريع عملية ويعزز من استدامة أثره. فالاستثمار في هذه الآفاق المستقبلية يمكن تحويلها إلى مشروع وطني شامل للتمكين والتنمية، وبالتالي تتسجم مع الرؤية الملكية السامية التي ترى فيه مدخلا لتحقيق المواطنة والعدالة الاجتماعية.

خاتمة

ختاما لما سبق، يبرز هذا البحث على أن برنامج محو الأمية بالمساجد في المغرب أصبح من خلال التعديلات الأخيرة والمبادرات المقدمة وما يتميز به من مرونة في التربية والتعليم والتأطير، مشروعا شاملا يجمع بين التكوين والتمكين. وقد أبدى المستفيدون من خلال ما جاء في التصريحات أو ما توصلنا به منهم شخصا خلال الزيارات التربوية والتفقدية وعبر أنشطة الأبواب المفتوحة بأن التعلم في المساجد منحهم ثقة في أنفسهم واستقلالية عملية داخل المجتمع، بالإضافة إلى تمكينهم من القدرة على مواجهة تحديات الحياة اليومية، كما فتح أمامهم آفاقا اجتماعية واقتصادية لم تفتح أمامهم من قبل، وقد أصبح المسجد بالإضافة إلى ما يقدمه من وظيفة تعبدية وتربوية، فضاء للتضامن وإعادة بناء شبكات اجتماعية قائمة على الدعم المتبادل والمشاركة الفاعلة.





وهذه التحولات التي ساهم فيها البرنامج، تتقاطع مع الرؤية الملكية، التي ترى في محو الأمية مدخلا أساسيا للتنمية البشرية والعدالة الاجتماعية، من خلال إعادة إدماج الفئات الهشة. وبناء على تأملات المستفيدين، يتضح بأن البرنامج ينظر إليه كبداية لمسار طويل نحو التمكين، فالبعض يطمح لاستكمال الدراسة في التعليم العمومي عبر خوض امتحان السادس ابتدائي، ثم الثالثة إعدادي فالباكالوريا... والانخراط في أنشطة جمعوية وإنشاء مشاريع صغيرة.

وبناء على هذه الدراسة الميدانية نوصي بتوسيع البرنامج ليشمل مستويات متقدمة بالإضافة إلى تدريس اللغات خاصة الحروف الأجنبية والمعلوماتيات، وربط التعلم بالتكوين المهني، وتحسين ظروف اشتغال الأطر التربوية في البرنامج، وتمكين المستفيدين المتحصلين على شواهد المستوى الأول والثاني من تسهيلات في الإدارات العمومية والتطبيب والدعم الاجتماعي لجذب انتباه باقي المستفيدين العازفين عن التسجيل في البرنامج ولاسيما فئة الذكور، زيادة على عقد شراكات وطنية ودولية مع مختلف الجهات من أجل تطوير البرنامج.

لائحة المراجع

أ). مراجع باللغة العربية

- _ بنسودة عثمان ، صور من الممارسة الديمقراطية، مطبعة السلام- فاس، يونيو 1980
- _ المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قسم محو الأمية بالمساجد، "المنهاج التربوي لتفعيل مقتضيات القانون الإطار 51.17" المتعلق بالتربية والتكوين والبحث العلمي
- _ المير خالد وقاسمي إدريس، نظرية التعلم- المتعلم في جماعة الفصل، سلسلة التكوين التربوي، ط2، دار الاعتصام البيضاء 1998
- _ بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بيروت - لبنان، ب. ب. ط، ب. ت
- _ بيومي عبد الله، تقويم الوضع الحالي لمحو الأمية، (الجهات، العقبات، التنسيق) أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالتعاون مع المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 2000
- _ دوركهام إميل، علم الاجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، مكتبة الأنجلومصرية للنشر والتوزيع، ط1، 1966





__ فرايري باولو، تعليم المقهورين، ت. يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت- لبنان، ب. ط، ب. ت
 __ موسوعة لالاند الفلسفية، تصويب خليل أحمد خليل، المجلد الثالث، منشورات عويدات بيروت، ط2، 2001
 __ المعطيات الرسمية، المندوبية الإقليمية للشؤون الإسلامية بالقنيطرة، للموسم القرائي 2026/2025
 __ المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قسم محو الأمية بالمساج برنامج محو الأمية بالمساج،
 التنسيق والاستشارة، دليل مرجعي للوظائف والكفاءات،
 __ المندوبية السامية للتخطيط، السكان القانونيون بجهة الرباط سلا القنيطرة حسب نتائج الإحصاء العام للسكان
 والسكنى لسنة 2024

(ب) مراجع أجنبية

- _ Moscovici .S, **La psychanalyse, son image et son public**, Paris 1976 ,P12
 _Erguig, Reddad, « **The mosques- based literacy campaign in Morocco : A socio-cultural perspective** », Studies in Education of Adults, vol. 49, N° 1, 2017
 Jodelet, D, « **Représentation sociale : phénomène, concept et théorie** » dans Moscovici S. (dir.), Psychologie sociale, Paris1997, PUF, coll. « Le Psychologue
 _L'UNESCO, Monographie sur l'éducation de bas, L'analphabétisme dans divers pays, Etude statistique préliminaire sur la base de puis, 1900, UNESCO, sans date
 _Lare christine et Silvestri Katarina « Reflecting on and Embracing the complexity of Literacy Theories in practice » The Language and Literacy Spectrum, vol. 33, N° 1, art. 1, 2023

